

الخطاب الحجاجي في السرد الجزائري المعاصر قراءة مقطوعة من رواية مقامات الذاكرة المنسية لـ حبيب مونسي

الدكتور: معاذ مراد مقري
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف- الجزائر

الملخص:

يعد الحجاج آلية من الآليات القرآنية المعاصرة، التي يمكن الاستعانة بها في تحليل، وتأويل النصوص والخطابات. بني مقالنا على رصد صور هذه الآلية في مقطوعة رواية مقامات الذاكرة المنسية للسارد حبيب مونسي، فهندسناه على النحو الآتي:

-أولاً: توفر الحجاج في السرد لدى القدامى كالجاحظ، ثم الخطاب الحجاجي في الرواية لدى المعاصرين.
وثانياً: نوع التقنيات والحجج التي يمكن أن يعتمد عليها الروائي في روايته عبر مسار حجاجي تواصل بينه وبين المتلقي، ولتفعيل ذلك ركزنا على نوع الحجة: الحجة بالسخرية، وبالعاطفة، والحجة بالحركة والسلطة في المقطوعة الروائية المختارة.
فمرمى هدفنا من هذا المقال هو إثارة قضية الحجاج في السرد الروائي، ومدى فاعلية الحجاج في دراسة النصوص.
الكلمات المفتاحية: السرد، الرواية، الخطاب، الحجاج، الإقناع.

Abstract:

The argumentative speech is considered as a contemporary reading mechanism, which can be used to analyze and interpret texts and speeches. Our article is based on observing images of this mechanism in a novelist piece the forgotten memory points to the narrator, Habib Mounsi, we projected it as follows:

First: Argumentation is available in the narration of the ancient ones like Al-Jahiz, then the argumentation speech in the novel among contemporaries.

And secondly: the type of techniques and arguments on which the narrator can be relied upon in his narration through an argumentative path between him and the recipient, to activate this, we focused on the type of argument: the argument with sarcasm, the argument with emotion, and the argument with movement and power in the novelist piece selected.

Our goal in this article is to raise the issue of the argument in the novelist narration, and how effective argument is in studying texts.

Key words : Narration _ the novel _ the speech _ Argumentation _ Persuasion

مقدمة:

أضحى الخطاب الحجاجي من أهم الدراسات اللغوية، و اللسانية المعاصرة التي تهتم بتحليل أنواع الخطابات الأدبية، والسياسية، والقانونية، وغيرها من المدونات، التي يسعى فيها إلى دراسة الوسائل، والتقنيات التي يوظفها المؤلف في نصه، وذلك من أجل إثارة المتلقي التي قد تتعدى إلى تغيير قناعاته، لأنها إحدى السمات المميزة التي يتحلى بها الخطاب الحجاجي. وقراءة الخطاب الروائي من الوجهة الحجاجية يطرح جملة من التساؤلات التالية: كيف يمكن أن يكون الحجاج في الرواية؟، هل من خلال

شخصياتها وصراعتها، هل في التبئير ودرجته في حديث الراوي؟ أو في الدور الذي يلعبه المحاج؟ أو في الوظائف الخطابية الحجاجية التي تستثمر فيه؟

إنّ هذه التساؤلات لا تعطينا إجابة كافية شافية؛ لذلك سنستأنس بنموذج نبين فيه حصول الحجاج في الرواية، وهي مقطوعة من رواية (مقامات الذاكرة المنسية) للروائي والأديب والناقد (حبيب مونسي)، وقع اختيارنا عليها لما شدّنا فيها من مواضيع مترامية الأطراف لمسنا فيها أمهات القضايا التي يتداولها الضمير الجمعي، وتواصلت من خلالها أجيال لحقب متعددة يمكننا أن نلفت الانتباه إلى جزء من جوانبها:

أ_ نقد اجتماعي يتمثل في صورة المتقاعد في أسرتيه الأولى والثانية*، ورصد ديناميكية المتقاعد، فهل التقاعد يعني به المجتمع شلل الحركة أم شلل السلطة؟ أو ربما قصور في السلطة، أو تنظيم سرعة حركية تحتاج إلى كبح وإعادة نظر أو تراجع في سلطة الأب الذي تقدّم به السن المصاحب لتراجع الطاقة المادية.

ب_ ونقد ثقافي متعلق بصورة المثقف في مجتمعه، وتواصل هذا الأخير معه.

بيد أنّه قبل تناولنا لهذه المقطوعة بالتحليل نتوقف لمعرفة الرابطة، والعلاقة التي تجمع بين الحجاج والسرد، وبخاصة الرواية.

الحجاج والسرد:

تحظى الدراسات السردية اليوم بأهمية كبرى نظرا لما تعرفه ساحة النقد الأدبي من عدة آليات تساهم في اكتشاف مكنونات هذا السرد على اختلاف أنواعه بالتعرف على وظائفه، فالسرد في حقيقته ليس مجرد التسلية أو الإمتاع فقط، ولكنه سرد يرمي إلى التواصل من أجل الإقناع* المسرود له، لأنّ «السردية (Narrative) في التداوليات الاجتماعية (Soco- pragmatiques) إحدى صيغ التواصل، وهي تقع جنبا إلى جنب مع الحجاج (Argumentation) في كونهما صيغتين تسعيان إلى إحراز تواصل مفعم بالانسجام والاتساق، ومسلح بقدر كبير من الأساليب التأثيرية، وإذا كانت السردية تعتمد على الحدث القصصي والتسلسل، والحبكة، والوصف، والحوار فإنّ الحجاج يعتمد على الدلالة والعلامة، والاستدلال والقياس، والبرهان في إطار تداولي يتيح للمتخاطبين أن يعبروا عن مواقفهم، وميولهم، وآرائهم وأفكارهم، ومقاصدهم»¹ بهذا يكون الحجاج متضمنا في السرد من خلال التواصل في الأحداث التي يسردها السارد، والسرد أيضا يصبح متضمنا له فإذا أمعنا النظر في الحجاج نراه سردا يراد به التبادل والتواصل بين الأشخاص ليس هذا فقط، بل يظهر في شكل قول الحجج التي تعتمد على السرد أو تأتي الحجج بصيغة سردية.

وفي ظل هذه التراكمات المعرفية التي يعرفها حقل السرديات لا نكاد نلفي له قراءات من الوجهة الحجاجية بخاصة الرواية، إلا أنّنا نجد سيمور شتمان (Seymour Shatiman) الذي حاول أن يدرس العلاقة بين الحجاج والسرد (Arguments et narrations)، وأن هذه الرابطة ليست وليدة اليوم، هي معروفة منذ القديم «بأنّ الحجاج منصهر مع السرد الذي كان معروفا في خدمته، وأنّ توظيف الحجاج لخدمة السرد التخيلي كان أمرا شائعا في أقوى عصور البلاغة؛ أي القرن الثامن عشر»² بهذا لا يقع الحجاج في خطاب واحد أو بعينه، فهو متعدد المنازل، وتحديد وظائفه ودلالاته يكون بالتعرف على نوعية الخطاب القابع فيه، أو

الساكن فيه، مما أصبح لدينا حجاج فلسفيّ، وحجاج قانونيّ، وحجاج شعريّ، وحجاج سرديّ، ولاشك أنّ تلك الأخبار التي كانت تروي النوادر، والقصص، لم تكن تروى لأجل التلذذ بها لأنّه من خلال قراءتنا لها نستخلص منها عدة فوائد وحكم التي تسخر فيها المشاهد، والحبكة لخدمة الحجاج التي تنتقل بها من الوظيفة الإخبارية إلى الوظيفة التأثيرية.

وبهذا يستدعي من الحاكي أن يوظف الحجة في نادرته، أو في نوع آخر من الجنس السردى إذا ما رام أن يقنع المتلقي، حيث «تختزل هذه الوظيفة النص السردى في الخطاب الحجاجي إذ الخبر حجة، أو فعل لغويّ إنجازي acte illocutoire يتوجه إلى المتلقي مذكرا أو منبها، أو ناصحا. فعلى الرغم من أنّه لا يحتوي على ملفوظ مرتبط بالمتلقي مباشرة؛ حيث لا نعثر في أي نص من نصوص الأخبار على إشارات تتوجه مباشرة إلى المتلقي بالأمر، أو النهي أو بأي فعل لغوي آخر إلا أن ذلك لا يعني أنّها لا تتضمنه...»³ إذ جوهر الأمر يتوقف على إدراك القارئ لهذا الخبر الذي قرأه، فالعملية السردية التواصلية لا تتم إلا بوجود مخاطب ومخاطب، «ورغم هذا التسلسل الخطابي في الوظيفة الاتصالية إلا أن المتكلم في خطاب الحجاج السردى يسعى إلى إبراز تفوقه على المخاطب، فالمتكلم وإن أقرّ بالمخاطب وحضوره إلا أنّه يسعى إلى انتهاك العلاقة التراتبية في الخطاب؛ لأنّ خطاب الحجاج يتأسس على مبادئ تدليلية؛ وبرهانية لا يستطيع النهوض بها إلا المتكلم الذي غالبا ما يقوم بتجاوز علاقته بالمخاطب؛ ليضمن السيطرة على مقاليد السرد»⁴

لأنّ السارد إذا اعتمد على آلية الإقناع في كتابة خطابه، سيسعى جاهدا إلى إيصال هذه القناعة إلى مخاطبيه، والتي لا تتم إلا بإحداث أثر بالغ في عقول، ونفوس متلقيه. لأنّ تجاهل هذا التخاطب من شأنه يحدث أثرا سلبية؛ كما أنّ الحجاج في السرد ليس هو وحده الذي يصنع الأثر أو الاتصال، بل في طريقة المعالجة التي يحتوي عليها الخطاب كأن يكون هناك ادّعاء واعتراض بينهما حجج، أو في محاولة السارد أن يقنعنا بوجهة نظره من وجهة أخلاقية أو تعليمية، وهذا النوع من الحجاج السردى نجده في التراث العربى عند الجاحظ (ت255هـ) «إنّ النص السردى عند الجاحظ* نمط بلاغي حجاجي يلتقي مع النصوص الحجاجية الصريحة مثل الخطبة، والموعظة في توجيهها نحو المتلقي لتعديل فكرة، أو تحفيزه على الفعل، لكنّه يشترك مع النصوص التخيلية في كونه خطابا سرديا يروي حكاية متخيلة غير قابلة للاختبار»⁵

والجاحظ في كتاباته نراه يحرص كل الحرص بحضور القارئ حضورا فعليّا، ولعلّه يكون حضورا متخيلا مما يوجه طاقاته الإبداعية، والكتابية نحوه، فيستعين بالحجاج لإيصال أفكاره حتى يقنع بها قارئه، منهج اعتمده الجاحظ في معظم مؤلفاته كالبخلاء، والتي ترجع إلى رؤيته الفكرية المنبثقة عن فلسفة تقوم على البرهان، والدليل فيمنح بذلك للخطاب عدّة وظائف متنوعة، وظيفه تواصلية، وأخرى حجاجية مع الوظيفة الأدبية، وهي سمة فنية لا تغيب في كتابات الجاحظ، ولا ننسى أثر فكره الاعتزاليّ، فهو خير من يمثل المدرسة الاعتزالية التي تقوم على مبدأ العقل يقوم النص السردى عند الجاحظ على أنّه هناك توافقا بين السارد والمسروود له، والمتمثل في الأفكار التي يطرحها صاحب النص التي هي في مجمل الأمر مواضيع مسلم بها عند المتلقي كمعرفة الأخلاق التي تسود في ذلك المجتمع، فتصبح هذه المسلمة حجة ضمنية في الخطاب.

تتعدد صور الحجاج السردى لدى الجاحظ (ت255هـ) بشكل بارز الأمر الذي جعل القراء يقبلون «عليه استجابة للأفق البلاغي الذي شكلته هذه الآثار، وكشفت عنه القراءات المعاصرة لها، إلا أن إعادة الكشف عنه في الوقت الحاضر لم يكن ليتحقق لولا ترسيخ هذا المعيار في الثقافة النقدية الحديثة، وتشكيله لأفق فئة عريضة من القراء تشبعوا بمفاهيم البلاغة الجديدة ونظريات النص الحديثة، وتحليل الخطاب»⁶ وحجاج الجاحظ ليس مقصوراً على مدونة دون أخرى، بل جميع مدونات الجاحظ (الحيوان، والبيان والتبيين، والبخلاء والرسائل) كلها تنبثق من أرضية حجاجية صنعه ذلك الفكر الاعتزالي الذي لا يلبث أن يتوقف عن الحجاج، غير أن الحجاج السردى عنده سرد بسيط إذا ما قارناه بينه وبين السرد الحديث الذي تطول فيها الأحداث، وتتشابك فيه المشاهد، وإن كان هو أيضاً يقوم على المكوّن التخيلي، فليس التباين من حيث الشكل فقط، وإنما من حيث البنية والوظائف.

وحضور الحجاج في السرد يمكن أن نجده «حتى في السرد القائم على الايديولوجيا، فيسخر الحجاج لحبكتة السردية، ويصبح تابعا لها، حتى في نصوص السرد ما بعد الحداثي والطليعي التي لا تدعن بسهولة للتحديد»⁷ لأنّ الوظيفة الايديولوجية تتمثل في تلك الأفكار والمواقف التي تسعى الرواية أو الراوي من خلالها إقناع المتلقي بتناوله لقضايا فكرية، أو ثقافية، أو أخلاقية في المجتمع، وهذه الرغبة في الإقناع تفتح مجالا واسعا أمام الحجاج في السرد تلك «رغبة الكاتب في توصيل وجهة نظره، وأحكامه التقييمية، وحجاج الشخصيات عندما تترجى، وتهدد وتندب وتنبى، وتحرض وتدافع وتتهم وتستحسن، وتستهن، وتضرب الأمثال، وتستشهد، ويطوع بعضها بعضاً»⁸ فيصبح عنصر الحجاج خادما للسرد.

وهذا يعود بنا إلى تلك الفكرة الموجودة بين البلاغة و السرد* التي سرعان ما أخذت هذه العلاقة في النمو والتطور، وفي إعادة الصياغة بعدما شهدت البلاغة من ميلاد جديد. فقد عرفت بلاغة الرواية بأنّها «هي كل الطرائق والوسائل الفنية، والأسلوبية، والفكرية أي الحجاجية التي تجعل القارئ يقتنع بأنه بصدد حكاية ليس بصدد فكرة، بأنه لا يقرأ مقالا أو رأيا أو فكرة وإنما حكاية»⁹ تعريف من شأنه يساوي بين البلاغة والحكاية، لكن البلاغة الجديدة تفتح لنا أفقا جديدة في الدرس السردى الروائي الحديث بالالتفات إلى الآليات التأثيرية للخطاب، والبنى الفكرية للنص الروائي.

الحجاج في رواية مقامات الذاكرة المنسية لروائي حبيب مونسي

يشكل السرد الروائي الحديث، والمعاصر معمارية خاصة، وهندسة متفردة من الأداء والصياغة والتشكيل، إذ يحاول الروائي أن يقدم صورة حقيقية وصريحة عن مختلف أشكال الحياة الاجتماعية، والسياسية، والأدبية لعصره، «وذلك من حيث إنها تسرد أحداثا تسعى لأن تمثل الحقيقة، وتعكس مواقف الإنسان، وتجسد ما في العالم؛ أو تجسد من شيء مما فيه على الأقل»¹⁰ تنهض على اللغة، والشخصيات، والزمان، والمكان، والحدث فتربط فيما بينها بما يسمى بالتقنيات السردية كالسرد والوصف، والحبكة، والصراع وهي في «حركتها الكلية، تحرك واقعا حيا، تضطرب فيه الرؤى والأحاسيس، وتتقاطع الوضعيات مشكلة شبكات من العلاقات، يعمرها ما يعمر الحياة من توافق وتناقض في آن. ومن هنا تنشأ سحرية عالمها في اختزالها حاضرا الإنسان على صفحات معدودة»¹¹ مما تقتضي توظيف

جميع أنواع الأساليب التعبيرية، والبلاغية، وآلية الحجاج إحدى هذه الوسائل التي نراها في هذا الفن، قد تتجلى من خلال الصراع التي تحتوي عليه الرواية، أو حركتها، كما يمكن أن نلمحه من خلال كلام بعض شخصياتها.

يقوم الحجاج في أغلب الأحيان بين مدّع ومعترض، وفي مقطوعتنا الروائية هنا يكون المدعي الأول هم عائلته التي لمحت في رب أسرتها أنه مريض، والذي كان رأي الأب عكس ما يقولون، إنها صورة الرجل الكبير في المنزل صراع بينه وبين أسرته، فكانت بداية هذه الرواية مقدمة لهذا الحجاج، والتي تكون بدايته من الزيارة الأولى لأيمن بأبيه سليم إلى الطبيب النفسي، فينصت الأب إلى حديث ابنه إلى هذا الطبيب، حيث نرى فجوة في هذا المشهد، وهي غياب مجريات الكلام الذي دار بينهما (الابن والطبيب) في محاولة شرحه لحالة أبيه للطبيب، فلم ينقل لنا جميع مجريات المحادثة. يستفتح الحجاج بعدها بسؤال الأب إلى هذا الطبيب عن «إن كانت هنا قصة أغرب من هذا؟»¹² هنا يتغير المدعي، ويظهر المدعي الثاني ألا وهو الطبيب الذي عليه أن يحاول أن يثبت لهذا الأب بأنه مريض، لكن المدعي عليه لا يترك له فرصة في ذلك، وأنّ المدعي الأول (العائلة) يحاول أن يتخلى عن مهامه كمقام رب أسرة قد أتى عليه التقاعد، وأنّ ما يحاولونه هو أسلوب متحایل فيه «يبحثون عن صيغة لإبعادي عنهم تحفظ لهم ماء الوجه»¹³

تتلخص في أنه اعتراض نفسي، حجة عاطفية التي انساق الطبيب معها في أول الأمر، فلمح الطبيب من وراء هذه الحجة العاطفية أنها فخ، وكأنّ المعترض (المريض) يرغب في توهيمه. قول الراوي: «أحس الطبيب بفيض من العطف يأسره أول الأمر، ثم تمالك نفسه»¹⁴، وتبدأ معاينة المدعي (الطبيب) بالملاحظة، أن حركة هذا المريض سليمة ليس فيها ما يدل على أن هذه الحركة بها خلل، فيقوم الحجاج في هذا المقام على الفعل، من ناحية المعترض وهو أن يمثل بأفعال توحى بعدم مرضه في قوله: «بيد أن هذا الكهل لا تحمل نظراته شيئا من الشرود والغموض كل ما فيه سليم. بل يحتفظ على طرفي شفته ابتسامة تهكم، وكأنّ الأمر الذي يعنيه الآن أمر لا يحتاج فيه إلى هذا الجد و ذلك الخوف»¹⁵ هذه الحركة الحجاجية قد أريكت الطبيب، الذي يحاول أن يمتلك زمام الأمور من خلال فعل الاعتدال، حجاجي حركي يصاحبه أقوال لكلا الطرفين (المدعي والمعترض)، ولعله يمكننا أن نهندس الحجاج في هذا المقطع بهذا الشكل:

المدعي ← حركة حجاجية هي الاعتدال ← قول (بأنّه ليس كما تعتقد) المعترض ← حركات تنبئ على أنّه سليم، رافقتها ابتسامة سخرية.

أما أقواله فتتمثل في الأسئلة التي طرحها على الطبيب (الحجاج بالسؤال*) مع إجاباته في نفس الوقت، قول الراوي «سلامتي أيها الحكيم؟ لو سردت لك الساعة اسمي ولقي ورقم بطاقتي، وعدد سنوات الخدمة، وتاريخ اقتراني بزوجتي، وعدد أبنائي وتاريخ ميلادهم...وما شئت من الوقائع تثبت هويتي، فهل يثبت لك ذلك سلامتي كما تزعم؟ أم هناك تمارين أخرى يتمكن بواسطتها الطبيب من إثبات السلامة؟»¹⁶، ولعلّ كلمة تزعم* تحمل معنى الادعاء التي ترددت ثلاث مرات في هذا المقطع ليس فيه من الصحة في شيء، فقد تحدى بذلك الأب الطبيب الذي لا يجد ما يبرر موقفه، وهي عدم كفاية حججه لأن يثبت للمعترض بأنه مريض إلا أنّ حجج المعترض كانت قوية، ومنطقية لم يجد المدعي ما يواجهه بها «كيف يميزون بين

الصحيح، والعليل، وبين العاقل والمجنون إنكم تعتقدون بي جنة أليس كذلك؟ طبيب، كيف أكون مجنوناً، وأنا أجد في تقولاتكم شارات الجنون عينها...إنني أحاول أن أبين لك أن الاختلاف في الرؤى، والأفكار رحمة مهداة لنا من الله عز وجل»¹⁷، فكل من الطبيب والأب له حججه يحاول بها أن يثبت صحة كلامه.

فالحجج تختلف وتتنوع، تختلف من شخصية إلى أخرى (الأب، الابن، الطبيب)، وتتنوع حسب موقع كل شخصية. بين مكانة المدعي المعالج، والمعتز المريض.

هندسة المقطوعة حجاجياً:

فهندسة هذه المقطوعة من الوجهة الحجاجية، يوجب علينا معرفة نوعية الحجج التي تنهض عليها مقطوعتنا الروائية، حتى يستبان لنا المخطط المعماري الحجاجي لها، التي تصادف فيها أربعة أنواع من الحجج حجاج بالسخرية، وحجاج بالعاطفة، وحجاج بالحركة (حجاج حركي)، وحجاج بالسلطة لهذا نمضي في الوقوف عند كل نوع من هذه الحجج، وذلك حسب ما ظهر لنا من خلال قراءتنا لها في مرات متتالية كما يمكن ألا يقتصر الحجاج على هذه الأنواع، والتي تتوقف على اتساع مجال القراءات، والتأويلات بعدد قراء النص.

الحجاج بالسخرية:

تمثل السخرية أنها إحدى فنون القول، وغرض من أغراض البلاغة، فالساخر في خطابه لا يسعى لتحقيق المتعة الفنية عن طريق النتائج التي تخلفها كالضحك، أو الاستهزاء، ولعله يكون المسخور به حاملاً لتلك الصفة الحقيقية فيه، كتوفر فعل الجبن لجبنه أو فعل البخل لبخله، لأن هذه السخرية* تمثل سلوكيات هي ظواهر متفشية في المحيط الاجتماعي، والثقافي يلجأ الساخر إليها ليغير من هذه السلوكيات المنبوذة في طبيعتها، فهي لا تقال لأجل الهزل، بل يصبح أسلوبها معالجة مما ترتفع بها من مرتبة المتعة الفنية إلى مرتبة الإقناع، فهي إحدى الوسائل البلاغية التي يريد بها الساخر إقناع متلقيه، ويتربص بها إلى إخضاع خصمه وإذلاله، وهي عند بيرلمان وتيتكا (Perlman, Tyteca) عمل حجاجي، « فاستعمال أو استخدام السخرية، دليل على توفر الحجاج، ذلك أن شكلها المتمثل في التعارض، أو الاختلاف هو عمل ذو طابع حجاجي»¹⁸

إذ استخدام عنصر السخرية، ما هو إلا لغرض حجاجي، فهي تقلل من شأن الخصم عن طريق الضحك، والاستهزاء، والاستحقار لكن يكمن وراءها أنها عملية إقناعية لاعتراض قول، أو فعل المدعي، وضرب حججه عرض الحائط تجعلها ضعيفة، وهي تهوي بها من الأعلى إلى الأسفل « تعتبر ضرباً من الاستهزاء بشخصية الطرف النقيض، وإهمالا لقيمه الإقناعية ويحاول المتلفظ من خلالها توظيف الجوانب السلبية للذات المعترضة، ويعدد تصرفاته المتناقضة، وأخطائها المضحكة المؤثرة، والمفارقات التي تقع فيها الحجاج على قوة المؤيد وارتكازه على مبدأ الوضوح قيمة المصادقية وسمات الجدية»¹⁹، والسخرية في قطعنا الروائية تتمظهر في عدة أقوال، وحركات وإن صح التعبير هي أفعالا كلامية تبدأ من سؤال الأب الطبيب «هل سمعت أيها الحكيم بأعرب من هذه القصة...»²⁰ استفهام يحمل في طياته معنى السخرية غرضه البلاغي النفي، يحاول الأب من خلاله أن ينفي هذا الادعاء في أسلوب ساخر بأن هذه القصة من نسيج الخيال.

ومن مظاهر السخرية « كل ما فيه سليم بل يحتفظ على طرفي شفتيه ابتسامة تهكم، وكأن الأمر الذي يعنيه الآن أمر تافه لا يحتاج إلى كل هذا الجد وذاك الخوف»²¹ وقوله «ضحك سليم ضحكة رقيقة خافتة...»²² كانت هذه حركات تنبئ بسخرية المدعي، وهي في نفس الوقت شكّلت تمهيدات، أو مقدمات من سخرية القول إلى سخرية الفعل تدرج بالحجة من طابق إلى طابق حتى وصلت سخرية المعارض من المدعي ذروتها، ممّا حملت على وجهه علامات الغضب في قالب لغوي استفهامي (هل قرأت فيما تعلمت أسخف من هذا الادّعاء يا حكيم) استفهام بلغت فيه السخرية مبلغا كبيرا من الاستهزاء بنفيه الجانب العلمي للطبيب، فهي تهزّ بكيان الطبيب كل ما تعلمه هذا الطبيب وشهادته لا قيمة لها في سعيه لإثبات حجج ادّعائه، «إذ يعد الضحك ممارسة هجومية، وتقنية فعالة لإبطال ردود الفعل المحتملة للمسخور منه وإنزاله منزلة حرجة»²³

بيد أنّه جاء رد الطبيب أيضا بسخرية فعلية «ضحك الطبيب بدوره وحرك ذقنه...أنت تذهب بنا يا سيّد سليم إلى متاهات فلسفية، ونحن نحاول معرفة علّتك...»²⁴، فإثبات الخصم أنّه أضحوكة ومهزوء به هو إثبات على عدم صحة هذا الادّعاء، وتصبح حجج الخصم أمامها ضعيفة خاصة إذا لم تجد له جوابا مناسباً، «ومن خلال ما سبق ذكره، يتبين أن توظيف السخرية باعتبارها تناقضا حجاجيا يسمح للمخاطب بالمحاجة دون تحمل النتائج»²⁵، فالسخرية من شأنها تعطي للحجاج قوة دفع في حرب نفسية، أو صراع نفسي بينه وبين خصمه، فيقوى بذلك موقفه «لأنّ المخاطب لا يهدف من خلال خطابه الساخر إلى صنع، أو تقديم متعة فنيّة إلى المتلقين أو يحاول تغليطه بإيهامه، أو التحايل عليه، إنّّه يسعى إلى إحداث الإقناع لدى القراء بالحجة في أسلوب يزواج بين عنصر الإمتاع، والإقناع، ووجودها في الخطاب الحجاجي دليلا على أنها عنصر أساسي فيه ليست مجرد زخرفة خارجية له»²⁶، فالسخرية بالمخاطب هو في الوقت ذاته إثبات لتفوقه عليه، غايته التأثير، وحمل السامعين على الإقبال على القضايا التي تعالجها باعتبارها مقوّمًا حجاجيا، وميزة أخرى نرى السخرية تتمتع بها هي شكلها المختصر والمحدد الذي ترد فيه، مما يسمح للذاكرة باحتوائها واستيعابها بسرعة، التي تجعلها أكثر وأشد تأثيرا.

الحجاج بالعاطفة:

لا يقوم الحجاج على العقل، أو المنطق وحده، بل يمكن أن يكون للعواطف مكان في الحجاج، إثارة المشاعر في نفوس الجمهور، والمتلقين، فهي مظاهر واضحة الاستعمال في حياتنا اليومية، فقد ظهر إلى جانب الحجج العقلية، والمنطقية نوع ذو «مسلك آخر في الحجاج مهم يقوم على بناء العواطف داخل الخطاب بناء حجاجيا يساعد على تبرير ما يشعر به المتكلم من عواطف، وحمل المخاطب على الاعتقاد في صحة ذلك الشعور، ومن ثم على تبنيه»²⁷، فاستدعاء عاطفة الشفقة مثلا في مقطعنا الروائي تبرز في هيئة المعارض الأب حيث أحس الطبيب بشفقة نحوه في أول وهلة «كان الطبيب يرقب سليما وهو يتحدث بهدوء دون أن ينظر إلى ابنه. فإذا به يشهد أمامه كهلا يشعر بمرارة وفداحة وضع يؤول إليه أمثاله. أحس الطبيب بفيض من العطف يأسره أول الأمر، ثم تمالك نفسه، وحقق في سليم محاولا تلمس الفخ الذي نصبه له...»²⁸

ذلك أن المشهد والوضع الذي آل إليه هذا الأب من كبر سنه، وتقاعده، وكيف انقلبت عليه الدنيا، وشعوره بمرارتها قد رسمت عاطفة لا يكاد أحد أن يشعر، أو يحس بها، فيتجاهلها أو يمر عليها مرور الكرام دون أن يستمع إليها، ويعيش معها، بيد أن هذه الحجة العاطفية قرأها الطبيب بمنظر آخر بعدما كاد أن يقتنع بها في البداية، رأى أنها فخ من هذا الأب أنها مغالطة، وهذا يقودنا إلى فكرة المغالطات في الحجج (المغالطات Fallacies)، حيث «أنّ العواطف عدّت من المغالطات التي تفسد الاستدلال وتنأى به عن المسالك التي ينبغي أن يجري فيها، واعتبرت حجة من تعوزه الحجة الصحيحة»²⁹

لكن الادّعاء بأنّ هذه الحجة مغالط بها قد يكون غير صحيح لأنّه لا يمتلك المدّعي قرينة دالة على ذلك، ولعلّه تلمسها بأنها فخ محاولة تضليل من المعارض هو موقعه أي (موقع الطبيب)، ربما يفرض عليه أن يضع كل الاحتمالات كاحتمال أنه يتعامل مع مريض لم يسبق له أن تعامل مع حالة مثله، أو أنّها نموذج صعب، وأن الشفقة أو العاطفة في مثل هذه الحالة لا تستثمر مفعولها، فإذا أخذها الطبيب بعين الاعتبار، وهو في موقع المعالج طبيب نفساني، قد يغيب الجانب العلمي في تشخيصه لحالة المريض، غير أنّها صفة لم يتعمد المجيء بها، وإنّما هي وصف حقيقي لحالة هذا الأب كما أنّه لم تكن الحجة الوحيدة، بل كان قبلها وبعدها حجج مساندة لها في ذلك، وهذا الرّفص بأن حجة العاطفية هي حجج مغالط بها نجدها عند والطن دوجلاس (Walton Douglas) في مؤلفه منزلة العواطف في الحجاج* الذي يرفض فيه بأن تكون حجج العواطف مغالطة، بيد أن قوله هذا نلمحه في كتاب آخر له (أساسيات في النقد الحجاجي Fundamentals of critical argumentation) في عنوان نداء إلى الشفقة (Appeal to pity) «إن حجة العاطفة أو الشفقة هي حجج كغيرها من الحجج الأخرى، وتكون وظيفتها في غالبيتها ليس للمغالطة، لأنها لها تأثيرا قويا في الإقناع، حتى وإن لم تكن لها علاقة أو ارتباط مباشر بالموضوع، لأنّه في بعض الأحيان والحالات يكون نداء إلى الشفقة حجة مادية»³⁰

فقد تكون الحجج العاطفية سليمة وقوية، وقوتها تكمن في مصداقيتها ولأداء الحجاج بالعواطف وضع والطن دوجلاس (W. Douglas) « شروط ثلاث لتحقيق من مصداقية هذه الحجج العاطفية، أولا الابتعاد عن فكرة أن الحجة العاطفية تكون دائما مغالطة، والشرط الثاني إلزامية أو ضرورة الخروج من تلك النظرة الضيقة التي لا ترى من البناء الحجاجي إلّا ما كان يقوم على مقدمات تستنبط منها جملة من النتائج، وشرط ثالث معرفة السياق الذي وردت فيه الحجج»³¹، وحجتنا العاطفية في نص روايتنا نعتقد أنّها سليمة، وتحتوي على شروط صحيحة ومقدمات لا مغالطة فيها مستمدة من الواقع المعيشي، لهذا أتت مناسبة لسياق النص الذي ينقل لنا حالة الأب وهو متقاعد عن العمل يحاول أن يجد لنفسه شيئا، أو طريق آخر يليه وينسيه على أنّه متقاعد وذلك «بمطالعة الكتب»³²، فالحجج العاطفية في نهاية المطاف يبقى وجودها ودورها كغيرها من الحجج الأخرى التي تستدعي العاطفة المنطقية، أصبحت عنصرا وموضوعا أصليا يستقطب الفعل الحجاجي، وأنّ السرد الروائي غني بهذه التفاعلات والآليات إضافة إلى آليات أخرى.

الحجاج بالحركة:

قد نعجز في بعض الأحيان عن الكلام أو توصيل رسالة عن طريق الكتابة، فيستعان في مثل هذه الحالات بمجموعة من العلامات غير اللفظية، وهي قد تكون بمثابة مقومات عاطفية، حيث يسعى المتكلم إلى إظهار الخفي منها وتوضيحه إلى السامع باستعمال الوسائل اللسانية والإشارية* لتحقيق الفهم، والإفهام والتواصل وهو ما ينصه الجاحظ (ت255هـ) «والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تعني عن الخط... ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى الخاص،...»³³ إن المظاهر الإشارية المصاحبة للغة تكون دائما مساندة لها التي أوردتها الجاحظ، تحتوي على معان وحجج يقتدر بها المحاج أو المدعي، والمعتز توظيفها في شكل حركات حجاجية نحو منائيه هذه البلاغات غير اللفظية لها أهمية في التواصل، يعتمدها المخاطب قصد التأثير والاستمالة، تسمى «بلاغة الأداء الحركي»³⁴ التي لها عدة قيم دلالية كالإشارة والإيماء، وهز الرأس، والنظرات وغيرها من الحركات الجسدية، فهي تعبيرات حركية لغوية غير منطوقة لأن «الحركة في التعبير الحقيقي عن الحياة ومع النمو، والتطور، والزيادة في الحياة تزداد الأنماط الحركية، خاصة تلك التي يسهم الإنسان في صنعها من الحركات التقنية الهادفة، أو تلك الحركات العامة التي تتكرر بصورة يومية كنشاط حياتي تقليدي عن البشر، يضاف إلى ذلك دور الحركة في التعبير اللغوي بشكل واضح»³⁵

وفي هذا المقطع السردى نحاول أن نتلمس القيمة الجمالية التي ترتبط بين بعض الإشارات الموجودة فيه وفعلها الحجاجي، فقد يكون لعضو واحد من أعضاء الجسم العين، والشففتين واليدين عدة دلالات مثل العين نظرا لأنها «أكثر الأعضاء تأثرا وتأثيرا، فهي تتأثر بما تقرأه في الآخرين، وتؤثر فيهم حين تقرأها عيونهم، تتأثر فتخلق في ذات صاحبها الحزن والسرور، وتؤثر، فتهمج ما كان دفيناً في الآخرين، بل لها قدرة قوية على اختراقهم لتصل إلى مكنونات نفوسهم؛ إضافة إلى أنها هي نفسها تكشف عما في نفس صاحبها من المعاني والدلالات الكثيرة»³⁶، والحركات التي نجدها في الرواية هي: ابتسم ورفع يديه في حركة بطيئة، يرقب، يتحدث بهدوء، أن ينظر، وحدق سليم، لا يحمل في نظراته شيئا من الشرود والغموض، يحمل في طرفي شففيه ابتسامة تهكم، نظر، هز سليم رأسه، ابتسامة، أم هناك تمارين أخرى، ضحك سليم، أن تنظر، لترى.

وبعد عملية إحصائية بسيطة نرى أن فعل النظر* تردد سبع مرات، والنظر قائم على حركة العين التعبيرية التي لها دلالات عديدة، «فإذا كانت الحركة غمزا فإن الدلالة سخرية واستهزاء، وإذا كانت جحوظا فالدلالة غيظ وغضب، وإذا كانت اتساعا وضيقا في حدقة العين، واضطرابا في رواية النظر فالدلالة تشاور واتفاق على الهرب»³⁷، وقد شملت النظرة كلا الطرفين المدعي والمعتز (الطبيب، والأب)، وكأن الحجاج كان بحركة العين الطبيب من جهة يقوم بتشخيصه «كان الطبيب يرقب سليم وهو يتحدث إليه بهدوء دون أن ينظر إلى ابنه»³⁸ محاولا أن يجد علة هذا المريض، مع إعماله كل الفرضيات والاحتمالات لأن الرؤية التي يعتمد عليها الطبيب لم تقدم له دليلا على أن الأب مريض، بل نظرته قوية التي بها قوي اعتراضه وحجته «أن هذا الكهل لا تحمل نظراته شيئا من الشرود والغموض.. كل ما فيه سليم»³⁹، مما قام الطبيب بحركة معتدلة

محاولا تبرير الوضع إلى المريض بأن ظنه واعتقاده خاطئا ليس في محله، ثم يقوم سليم بحركة حجاجية أخرى ذات طابع سخرية « هزّ سليم رأسه دون أن تفارقه ابتسامته الشاحبة...»⁴⁰

ففعل الهزّ* له عدّة دلالات تحوم حول معنى الاضطراب « وتمتد هذه الدلالة الحركية القديمة للفعل إلى العربية المعاصرة؛ حيث يردّ في سياقاتها بدلالة حركية موضعية غير منتظمة، فيها ذبذبة للجسم وشيء من الارتعاش. وتأتي حركة الهزّ مع الرأس كلفة جسدية للتعبير عن معانٍ مقصودة؛ مثل القبول، والرفض، والدهشة، والتعجب والعبارة... وغير ذلك»⁴¹ والدلالة التي يحملها (هزّ سليم رأسه) هي السخرية اعتمادا على قرينة الابتسامة، وقد رأينا سابقا الحجاج بالسخرية إلا أن الاختلاف هنا أو التباين في نوع وطريقة السخرية في الأولى كانت قولية أما الثانية فهي فعلية، ولعلها مصاحبة الفعل للقول يصبح المعنى أقوى في الحجاج (يملك المعترض قوة كبيرة في الحجاج).

من الحجاج بالحركة أنّ هذه الحركات يغلب عليها التباطؤ (حركة بطيئة) غير مسرعة « والفعل بهذه الدلالة لا يدل على حركة بنفسه؛ بل يصف الحركة بالبطء، وهو من الأوصاف العامة للحركة، وتدور دلالاته في سياقات العربية المعاصرة حول معنى اتجاه سرعة الحركة إلى النقصان:....»⁴² والحركة البطيئة هنا مناسبة لسياق النص ذلك أن الرجل الكبير المتقاعد تتأقل حركاته بعد تقاعده عن العمل، واقتربت هذه الحركة البطيئة بفعلين آخرين، بل أتت وصف لهما في قوله « ثم ابتسم ورفع يديه في حركة بطيئة وقال...»⁴³، فلعله يقصد برفع يديه أن يبين للطبيب بأنه سليم، لأن فعل الرفع له استعمالات كثيرة*، نهض هذا المقطع الروائي على الحجاج بالحركة التي لعبت دورا مهما فيها، فقام على صورة بيانية شبه هذا الأب السليم المعترض المدعى عليه بالمرض أنّه مثل الآلة التي انتهت فترة العمل المحددة لها، فلا يسمح لمشتريها أن يعيدها مرة أخرى إذا حصل لها عطل إلا إذا كانت في الفترة المشروطة بالضمان، وإذا تجاوزت مدة المراجعة، فلا يقبل البائع الإعادة من المشتري، فهذا الأب المتقاعد شبيه بهذه الآلة التي أكل عليها الدهر وشرب، وأن المكان المناسب لها هو ذلك المكان الذي نخصصه في المنزل للخردوات أو لأي شيء انتهت مدة صلاحيته، وعادة ما يكون مظلما موحشا (كأن يكون قبوا أو مستودعا).

إنّها صورة بيانية فعلا مؤثرة، تنبئ بواقع معيشي اجتماعي أليم ليس على العقل، والقلب إلا أن يراجعا نفسيهما، وفي المقابل رغم أن حركات الطبيب كانت في اعتدال لكن موقفها ضعيف أما حجاج حركة الأب « اعتدل الطبيب في جلسته، ونظر إلى أيمن برهة قبل أن يلتفت إلى سليم»⁴⁴ رافق اعتراض الأب سيل متدفق من الأسئلة ينتظر أجوبتها من المدعي التي بدورها غيرت مسار الحركة من حالة الاعتدال إلى الارتباك «ارتبك الطبيب، وتحرك في مجلسه...»⁴⁵ نافيا بذلك أنّه لا يحتاج إلى كل هذه الأسئلة في كيف يكون العلاج؟، أو ما هي الطرق والوسائل المساعدة في اكتشاف المرض والعلل؟، وأنّ الأمر كلّ واقع على إدراك للأمور إن كان سليما أو به خلل عن طريق مقارنته مع غيره، ثم يلجأ الطبيب إلى حجة قولية أخرى تغير من حركة الأب المتمثلة في ملامح الانفعال، والغضب على وجهه « أنت تذهب بنا يا سيد سليم إلى متاهات فلسفية، ونحن نحاول معرفة علتك... بدت علامات الغضب على وجه سليم، واهتزت شفتاه هزة خفيفة، واحتدّ بصره، ثم كظم غيظه...»⁴⁶ لأنّ الأمر متعلق باتهام الأب بالجنون، وأنّ سليم يخوض في متاهات أو إشكاليات غامضة.

فكان هذا القول من الطبيب يحاول به أن يعبث بأعصاب مريضه، غير أنّ الأب لم يترك له فرصة في ذلك، وهذا يعود إلى الشخصية التي يتمتع بها الأب الهادئة، والبطيئة، وأتته ليس انفعاليا، فبطلت نتيجة الطبيب التي كان ينتظرها بحدوث ثوران وضجة «ورياح عاصفة التي عادة ما يخفيها المريض وراء هدوئه»⁴⁷ فلم يحصل الانفعال بأن كظم غيظه، شخصية سليمة مؤمنة بفكرتها، وهنا نستحضر قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾⁴⁸ لأن الغضب، والانفعال الحاد يؤدي بحدوث تغير في العملية الحجاجية، ممّا ينعكس على صاحبه سلبا، فترجح كفة الغلبة موازين القوة من المتفوق إلى الطرف المهزوم، أو الذي هو في موقف ضعيف، وخرج، لهذا نرى أن المعترض (الأب) استثمر هذه الآلية جيدا، وبراعة وهو عنصر الأخلاق التي يتمتع بها المخاطب* أو المحاج لأن الغضب يؤثر على العملة الاستدلالية، وهو في مناظرة الحجاج «وظيفة غير مقبولة عند جمهور أهل هذا الفن»⁴⁹، فقد يستغله أحد الطرفين من حجة له إلى حجة على المدعي أو المعترض.

إن اعتماد الحجاج على الحركات والإشارات، والتعبيرات الجسدية على صحة ادّعاء أو اعتراض يجعلنا نراجع مفهوم الحجاج مرّة أخرى الذي يبقى متشعبا وغير مستقر لكثرة منابعه المعرفية والفكرية، وإن كنا قدمنا مفهومًا له في المقدمة، فهو «علم يدرس أشكال، ووسائل التأثير في المتلقي التي تتم في إطار النص اللغوي، أو في الإطار السيميائي العام بهدف الإقناع بفكرة ما، والدفاع عن فكرة ما»⁵⁰، فلا ينحصر مجال الحجاج على نوع من أنواع النصوص، ولا على الخطاب المكتوب، وإنما يمسّ الجوانب المكتوبة أو اللفظية كالعلامات، والصور الفوتوغرافية، وغيرها من العلامات السيميائية* التي توظف للحجاج، فيكون أثرها الإقناعي الذي تحدثه كبيرا، خاصة ونحن في عصر الصورة الرقمية التي تتبوأ فيه منزلة كبيرة في التواصل. «ولعلّه تلتقي السيميائيات بالحجاج فيما يسمى (فقه الخطاب) باعتبار أنهما يسعيان في البحث عن كفاءات تكوينه، ووظائفه أو طرق عمله (الخطاب)، وبتأصيل وانفتاح المقاربات السيميائية للنصوص جعلها تستثمر آليات النشاط الحجاجي داخل السيميائيات الداخلية التي تتسم بلغة واصفة، والسعي إلى الإمساك بالمعنى، ووصفها وصفا علميا، وإبراز آليات الحجاج في التحليل السيميائي»⁵¹ فتهم السيميائيات، والحجاج بدلالات الخطاب بحجة قابليتهما للانفتاح القرآني.

الحجاج بالسلطة : (Argument d'autorité):

هناك علاقة بين الحجة، والسلطان لأنّ من معاني السلطة الحجة*، ولعلّه سميت الحجة سلطانا للدلالة على القوة، أو لما يتمتع به السلطان من قوة، ومتانة مالا تبلغه أي حجة أخرى تقهر الخصوم، وتتسلط عليهم. «والمقصود أنّ الله سبحانه سعى علم الحجة سلطانا؛ لأنّها توجب تسلط صاحبها واقتداره، فله بها سلطان على الجاهلين، وسلطان العلم أعظم من سلطان اليد، ولهذا ينقاد الناس للحجة مالا ينقادون لليد؛ فإنّ الحجة خاضعة لها، دليل مقهور تحت سلطانها،...»⁵² من شأن هذا النص يفرّق بين سلطان العلم، وسلطان الجسم أو البدن، فحجة العلم قوية وأعظم من سلطان البدن لأنّه بالعلم يحدث الإقناع الذي يمتلك القلوب كما لا تحمل في صيغتها الإكراه والإزام بعكس الجسم، التي قد تهوي بنا إلى منزلة أدنى من الإنسانية منزلة شبيهة بالحيوان المفترس، ذلك أن هذه الصفة قوة البدن نجدها أكثر عند السباع والأسود، وما شابهها في ذلك قوة بلا تفكير وعلم.

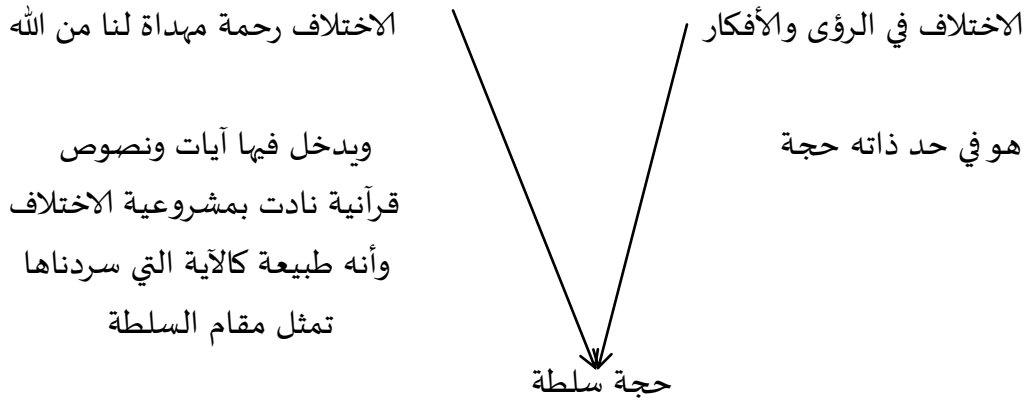
وعند طه عبد الرحمن أنّ السلطان يختلف عن معنى الدليل، وقد أرجعه إلى ثلاث متباينات أو وجوه « السلطان في معناها لحقيقي، والمتمثل في أنّه يشكل قوة مادية يأخذ منها قوته ليس ملزماً بأن يستعين بدليل، توظيفه أو الاستعانة به أمر زائد عليه، والوجه الثاني هي أنّ من معاني السلطان هو الاستعلاء هذا الذي يجعله يقدم حكمه دون اعتراض، بينما الدليل لا يكون مثله يقدمه في أسلوب متوازن، متعاون لكي يحقق الأخير غايته، والثالث أنّ السلطان يكون إقناعه على أسلوب الإكراه والإلزام أو الإكراه مستغلاً مكانته، أما الدليل لا يلزم إقناع خصمه ولا يكرهه، وإنّه يكون بالرضى»⁵³ وركحا على ما سبق أنّ السلطان يمثل حجة مادية أكثر منها حجة معنوية، فسلطة النص، أو الخطاب القرآني تعود إلى قائلها، وهو الله سبحانه وتعالى، وسلطته العليا هذه تميزه عن باقي الخطابات الأخرى، تفرض على المتلقي أن يستجيب لها بإتباع أوامره، واجتناب نواهيه.

هي إحدى التقنيات الحجاجية التي اعتمدتها البلاغة الجديدة في الإقناع مع بيرلمان، حيث اكتسبت قيمتها من اسمها، هي حجة تتعلق وترتبط ارتباطاً مباشراً بمنزلة قائلها التي يتمتع بها من مكانة وهيبة، ونفوذ يصبح كلامه مسموعاً عند زمرة أو عدد كبير من الناس، ممّا يجعل هذه الميزة حجة وإثباتاً يستدل بها ويرجع إليها « وتختلف السلطة في حجة السلطة، وتعدد تعدداً كبيراً فقد تكون الإجماع، أو الرأي العام أو العلماء أو الفلاسفة أو الكهنوت أو الأنبياء، وقد تكون هذه السلطة غير شخصية Impersonnelle مثل الفيزياء أو العقيدة، أو الدين أو الكتاب المقدس، وقد يعتمد الحجاج بالسلطة إلى ذكر أشخاص معينين بأسمائهم على أن تكون سلطة هؤلاء جميعاً معترف بها من قبل جمهور السامعين، في المجال الذي ذكرت فيه»⁵⁴ لذلك المجيء بها وتوظيفها في النص يكون استدلالاً على صحة دعوى أو إبطالها. حجة قوة يصعب مناقشتها، أو قد لا يستطيع الاعتراض عليها بخاصة إذا تعلق الأمر بالقرآن الكريم.

« إن ارتباط الدين الاسلامي تاريخياً بالكتاب الذي مثل تعاليمه واختزل أصوله، جعل القرآن ذا مرتبة ومكانة إن جرّدت في مسار الاحتجاج والمدافعة، الإغلاء ومنافحة صارت تبعا واقتضاء حجة/ سلطة تمارس على المفسر أسراً مزيماً يصير بمقتضاها، كل تخريجه وجل تأويله طوع النص بيانا وتوضيحا، وتثبيتاً وترسيخاً»⁵⁵، وغالبا هذا النوع من الحجج لا ترد منفردة، بل يرافقها عدد من الحجج مساندة لبعضها البعض كما هو حاصل في مقطعنا الروائي هذا إلى جانب حجة السلطة أتت حجج أخرى كنها رأيناها أنفاً، فتضفي عليها مصداقية، ودرجة كبيرة من الإقناع، وحجة السلطة في قطعنا السردية ترددت مرتين، أو بتحليل مغاير أنّها في المرة الأولى لم تكن تشير إلى حجة سلطة، إنّما هي مجرد حجة لا غير في قوله «إن الاختلاف في رؤيانا هو منطقتا التنوع والتعدد والتجدد، وإلا لكننا نسخا مكررة»⁵⁶ أما في التريفة الثانية نرى أنّه يستحضر النص الديني* الذي يمثل حجة سلطة، « فإنّي أحاول أن أبين لك أن الاختلاف بيننا في الرؤى والأفكار رحمة مهداة لنا من الله عز وجل»⁵⁷

إن استدعاء النص الديني قد أكسب حجة الاختلاف سلطة، فأصبحت حجة سلطة لأن الاختلاف حجة بغض النظر عن وجودها في القرآن الكريم، وهذا ما يقتضيه العقل في أنّنا مختلفون، بيد أنّ قوله (رحمة مهداة لنا من الله عز وجل) يجعله يستحضر عدة نصوص قرآنية، وهي كثيرة من بينها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ

رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلَئِنَّكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ⁵⁸ فالآية تشير إلى أن الاختلاف هو من مشيئة الله سبحانه وتعالى في أن جعل جميع الناس مختلفين، ولعلّه يمكننا أن نوضّح هذه الحجة بهذا الشكل:



«ولاشك أن الاختلاف في وجهات النظر، وتقدير الأشياء، والحكم عليها أمر فطري طبيعي، له علاقة بالفروق الفردية إلى حد بعيد، إذ يستحيل بناء الحياة قيام شبكة العلاقات الاجتماعية بين الناس أصحاب القدرات الواحدة، والنمطية الواحدة، ذلك أن الأعمال الذهنية والعملية تتطلب مهارات متفاوتة، وكأنّ حكمة الله تعالى اقتضت أن يكون بين الناس بفروقه الفردية. سواء أكانت خلقية أم مكتسبة. وبين الأعمال في الحياة تواجد والتقاء؛ وكل مسير لما خلق له، وعلى ذلك فالناس مختلفون، والمؤمنون درجات...»⁵⁹ وهذا الاختلاف ليس حكراً على طبيعة الإنسان هو إحدى ثوابت نظام الكون، يشمل جميع المخلوقات التي خلقها الله كاختلاف الليل والنهار، والسماء والأرض كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾⁶⁰ قدّم حدث هذه الحجة، حجة السلطة مفعولها في نفسية الطبيب، لأنّه إذا واصلنا قراءة الرواية التي يستمر الحجاج فيها نرى أن المدعي (الطبيب) قد شكل لديه انزعاج، وتحرك من مكانه « كان انزعاج الطبيب شديداً، وقام من مجلسه ليحدث أيمن على انفراد...»⁶¹

خلاصة:

قد يكون الحجاج بنية أصلية في الرواية، أو في حلقة من حلقاتها، من أجل الإقناع أو بين شخصياتها وثانياً وهو الجزء المهم الأثر التي تحدثه في المتلقي لأنّه خطاب ينتظر القارئ أن يقرأه مع الاهتمام بالعلاقة، أو الرابطة الموجودة بين عنصر السرد والحجاج، مثل الحجاج في خطاب الشخصيات، والذي نلمحه من خلاله الحوار الدائر بين الشخصيات في مثالنا الذي أخذناه بين الأب والطبيب، كيف كان كل واحد منهم يحاول أو يسعى لإبطال مقولة الآخر، أيضاً حجاج الذات مع نفسها، ولقد قام الحجاج في هذه المقطوعة على الحركة حجاج بالحركة بين معاينة الطبيب، والتي كانت ضعيفة أمام حركة المعارض الأب الذي تبدو في حركته الحجاجية سليمة بسلامة جسمه، وعقله من ادّعاءهم بالجنون، و الحجاج بالسخرية، والحجاج

بالعاطفة، والحجاج بالسلطة فقام الحجاج هنا في مجمله على قصدين معرفين هما الادعاء والاعتراض على مستوى الشخصيات هذا ما وقفنا عنده. فيا ترى ما هو لجديد الذي يمكن أن يأتي به الخطاب الحجاجي على الرواية؟

ومما هو قمين بالذكر إن هذا التحليل الذي عجنا عليه حول مقطوعتنا الروائية (مقامات الذاكرة المنسية) إنما جئنا به من باب التمهيد والإشارة إلى أهمية الحجاج في السرد عامة، والسرد الروائي الجزائري خاصة، حيث يعتبر الحجاج آلية من آليات القراءة التأويلية المعاصرة، « فهو رافد من روافد الفعل التأويلي الذي يجريه المؤول على النص، أو الخطاب يستنطق مكانه ويجلي مستغلق مقاطعه، إذ إن المؤول لحظة يحاجج خصمه الواقعي، أو غريمه المفترض، إنما ينتصر لزعم تأويلي على حساب زعم تأويلي آخر اعتقد في فساده، وآمن بحدوده»⁶²، لذلك لا ينبغي تغييبها، والتغاضي عنها في الدراسات الأدبية واللغوية، والنقدية المعاصرة، فالأدب الجزائري الحديث، والمعاصر يحتوي على العديد من النصوص التي تحتاج إلى القراءة، وإعادة تأويلها من الوجهة الحجاجية، ولا يجب أن نبحت عن الأعذار المخيبة للأمال بحجة أن هذا النص قد درس وحلل، فكل يحاول تقديم عصارة فهمه وتأويله لهذا النص لأنها تختلف، والقراءات تتعدد.

الهوامش:

* أسرته الأولى: هي عائلته، وأسرته الثانية: المجتمع.

* يتجلى الإقناع من خلال وظائف السرد التي نجدها عند جيرار جنيت (Jeanette d Gerar) وهي خمس وظائف: الوظيفة السردية وهي محيطة لكل محكي، ووظيفة التواصل في أن السارد موجه عمله إلى متلق (وهو المسرود له)، ووظيفة للشهادة، وهي مصادر الذي يشهد به صاحب النص الوظيفة الأيديولوجية يفسر السارد الوقائع بدءا من معرفة عامة، الوظيفة الإنجائية للسرد هذه الوظيفة التي تبرز فيها الإقناع إنما نادر ما نحكي لأجل متعة الحكيم، ولكن نؤثر، نغري، نستقطب. ينظر، كريستان أنجلي، جان إيرمان، السرديات، نظرية السرد، ترجمة ناجي مصطفى، منشورات الحوار الأكاديمي، دار البيضاء-المغرب، ط1، 1989، ص101، 102.

¹ - ينظر، مني بيكر، ترجمة السرديات، سرديات الترجمة هل حقا الترجمة جسر بين الشعوب والثقافات؟ مترجمة، حازم عزمي، مجلة فصول، مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد 66، 2005، ص22.

² - Seymour chatman arguments et narration in l'argumentation texte dites par Alain Lempereur colloque de écrits Ed margada 1991 p148.

³ - محمد مشبال، البلاغة والسرد، جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ، منشورات كلية الآداب جامعة عبد الملك السعدي، تطوان-المغرب، د.ط، 2010، ص15.

⁴ - هيثم سرحان، الحجاج السردية عند الجاحظ، بحث في المرجعيات و النصيات والآليات، مقال، مجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، العدد 115، 2011، ص17.

* على سبيل المثال في كتاب الحيوان الذي يحتوي على العديد من النصوص (نوادير أو أخبار أو قصص) التي يعتمد فيها الجاحظ على تفعيل آليات الحجاج مثل خبر القاضي عبد الله بن سوار وإلحاق الذباب. ينظر، الجاحظ، الحيوان، تح، محمد عبد السلام هارون، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1385هـ، 1975م، ج3، ص343. التي نجد لها تعليقا عند محمد مشبال بأنه تتضمن فعلا يحرضه (الذي هو القارئ) على اتخاذ موقف من شخصية القاضي عبد الله بن سوار المتكلمة والمغرورة، والحرص على تجنب سلوكه بالسير نحو ما تمليه الطبيعة الإنسانية، ينتج هذا التعليق من فعل إدراك القارئ لهذا الخبر بالإعراض عن مثل هذه السلوكيات، فنراه بذلك يستهدف إصلاح المجتمع الذي جسده فعل الحجة. ينظر، المرجع السابق، ص15.

⁵ - المرجع نفسه، ص16.

* الذي هو عنده آلية يؤول بها كل القضايا، وهذا الأثر ظاهر جليا في أدبه وبلاغته، الذي يحتكم بفضل به إلى الحجة والبرهان.

⁶ - المرجع السابق، ص138.

⁷ - Seymour chatman arguments et narration in l'argumentation texte dites par Alain Lempereur colloque de écrits Ed margada 1991 p150 .

⁸ -Ibid. p152.

* هذا الطرح قدمه واين يوث في بداية الستينات سنة 1961 في كتابه بلاغة الرواي Rhétorique of fiction الذي أسس فيه نموذجاً تحليلياً بسيطاً، يقيم فيه فعل البلاغة الروائية على تحليل معين لتلك العلاقات الموجود بين الراوي والشخصيات. مرابطي صليحة، بلاغة السرد بين الرواية والفيلم، مجلة الخطاب، مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولودي معمري تيزي وزو، العدد الثامن (خاص بأعمال ملتقى البلاغة وتحليل الخطاب) ص223. ومن الذين اهتموا ببلاغة السرد بول ريكور واهتماماته المتعددة للحجاج الذي يعد فارقا بين كتاباته البلاغية التي تظهر بصورة غير مباشرة حيث تظهر في المباحث التأويلية (الميرمنوطيقية) من جهة، وبين دراساته الأخيرة للسرد بوصفه ظاهرة بلاغية وحدودية تستوعب حصيلة كل العلوم والتجربة الإنسانية من جهة ثانية. ينظر، محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، ط1، 2008، ص158.

⁹ - عبد الحميد عقار، ندوة بلاغة الرواية، مجلة بلاغات، العدد1، المجلس البلدي لمدينة القصر الكبير، المغرب 2011، ص141.

¹⁰ - عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة، د.ط، د.ت، ص12.

¹¹ - حبيب مونسي، فعل القراءة النشأة والتحول، مقارنة تطبيقية في قراءة القراءة عبر أعمال عبد المالك مرتاض، منشورات دار الغرب، وهران، د.ط، 2001، ص187.

¹² - حبيب مونسي، مقامات الذاكرة المنسية رواية، د.ط، 2004، ص7.

¹³ - ينظر، المرجع نفسه، ص8،7.

¹⁴ - ينظر، المرجع نفسه، ص8.

¹⁵ - ينظر، المرجع نفسه، ص8.

* يقودنا الحجاج بالسؤال إلى ميشال مايير (Michel Meyer) ينهض الحجاج عنده على المسألة. هذه الفكرة منبثقة من جوهر الفلسفة القائمة على التساؤل والمساءلة، والسؤال الحجاجي عنده أن يكون متضمنا لطرافة فكرية، بحيث أن المخاطب عليه أن يستنتج من دلالاتها أنها تؤدي متعة له من جهة، وتكون تدعima للفرضيات من جهة أخرى. ينظر، محمد سالم محمد الأمين الطلبة، ص134، 135.

¹⁶ - ينظر، المرجع السابق، ص9.

* كلمة (تزعج) تلفت انتباهنا إلى تلك القضية التي أشار إليها عبد المالك مرتاض في عبارة (زعموا) والدور الذي تلعبه في السرد، بأن مصطلح زعموا ينسجم مع طبيعة السرد القائم على التسلسل الزمني الذي يأتي من الخارج، أو عن طريق حياد المؤلف المزعوم القائم على اصطلاح ضمير الغائب، فكأن هذه الأداة السردية تقابل ما يعرف لدى منظري الرواية الغربيين بعد مصطلح الرؤية من الخلف (La vision par derrière) كما يحمل احتمال الناقد على أن أول من اصطنع هذه الطريقة السردية عبد الله ابن المقفع (ت142هـ). عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد ص141، 143.

¹⁷ - ينظر، المرجع السابق، ص10.

* استعملها القرآن الكريم في ست عشرة مرة، بمعنى الاستهزاء والإذلال، والضحك كقوله تعالى: (إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ زَيْنًا آمَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرًا حَتَّى أَنْسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ (110) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ) سورة المؤمنون، الآية 109، 111. والمعنى هنا الاستهزاء والضحك.

¹⁸ - Perlman Chaïm et obrechts tyteca Lucie, l'argumentation, la nouvelle rhétorique, 1983 universite du Bruxelles, p 280.

¹⁹ - غمشي بن عمر، سيميولوجيا الاتصال في الخطاب الديني قصص الأنبياء في القرآن الكريم نموذجاً، رسالة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر الثالثة، كلية العلوم السياسية، قسم علوم الإعلام والاتصال، 2010، 2011، ص169.

²⁰ - حبيب مونسي، المرجع السابق، ص7.

²¹ - المرجع نفسه، ص8.

²² - المرجع نفسه، ص8.

²³ - أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، مكتبة المدارس، الدار البيضاء، ط1، 1432هـ - 2011م، ص33.

²⁴ - المرجع السابق، ص10.

- ²⁵ هو الحاج ذهبية، التعدد الصوتي من خلال السخرية في المنظور التداولي، (مقال)، مجلة الخطاب دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث العلمية في اللغة والأدب، دار الأمل، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزو، العدد 4، جانفي 2009، ص 255.
- تعتبر السخرية نوع من أنواع الحجاج التي تعتمد على ترك المناظرات، والمجاجات الحقيقية إلى جانب حجة الصمت التي لها دور في الحجاج بعدم إعطائها الخصم إجابات إهانة واستحقار، فتسكن بذلك حركة المخاطب. ينظر، محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللساني، دار الثقافة، النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط1، 1426 هـ - 2005 م، ص 39، 40.
- ²⁶ Alain Lempeur, 1991, l'argumentation, collectif. Michel Mayeur, université de Bruxelles centre- 12 européen pour l'étude de l'argumentation, Edition margada, p108- 109.
- ²⁷ حاتم عبيد، منزلة العواطف في الحجاج، (مقال)، مجلة عالم الفكر عدد خاص بالحجاج، العدد 2، المجلد 40، ديسمبر 2011، ص 240.
- ²⁸ حبيب مونسي الذاكرة المنسية، ص 8.
- ²⁹ حاتم عبيد، منزلة العواطف في الحجاج، ص 247.
- * تناول فيه أربع حجج قائمة على العاطفة: الحجة القائمة على الجمهور، والحجة القائمة على استشارة الشفقة، والحجة القائمة على القوة و التهديد والحجة القائمة على الشخص. ينظر، المرجع نفسه، ص 250.
- ³⁰ Douglas Walton, Fundamentals of critical argumentation, Cambridge université press 2006, p290.
- حيث قدم مثالا هو عبارة عن نداء استغاثة تقدم مساعدات لأطفال يتضورون جوعا (كارثة المجاعة) تم هذا النداء على رسم صورة طفل أخذ الجوع كامل جسمه، مثير للشفقة، مع إعطاء معلومات حول هذا الطفل كاسمه، وتفاصيل وضعه مرفقا ببيان أو إعلان فحواه أن هذا الطفل المتضرع جوعا إذا لم يحصل على المساعدة اللازمة، فإنه سيموت، فهذا الإشهار العاطفي والنداء إلى الشفقة هو حجة غير واهية، مع أنه يجب أن يسأل عن در ومهام هذه الوكالة التي ستقدم المال والمساعدات كالطعام لهؤلاء الأطفال المتضورون جوعا. Voir, ibid, p290.
- ³¹ ينظر، حاتم عبيد، منزلة العواطف في نظرية الحجاج، ص 253.
- ³² ينظر حبيب مونسي، مقامات الذاكرة المنسية، ص 6.
- * القرآن الكريم مليئة بالتعبير الإشارية غير المنطوقة والحركية ، كقوله تعالى: (فَأَقْبَلَ كَفًّا أَهْرَافَهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ) سورة الذاريات الآية 29. تتعلق هذه الإشارة بدلالة الوجه، وهي للتعجب والدهشة. وأيضا ما جاء في قول الشاعر:
- أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة مذعور ولم تتكلم
فأيقنت أن الطرف قد قال مرجباً وأهلاً وسهلاً بالحبيب المقيم.
- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 78.
- ³³ الجاحظ ، البيان والتبيين، ج1، ص 78.
- ³⁴ ينظر، أنور الجمعاوي، استراتيجيات الحجاج في المناظرة السياسية (مناظرة التنافس على الرئاسة بين نيكولا ساركوزي وفرانسو هولاند، دراسة، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات بالدوحة، قطر، د. ط، 2013، ص 53.
- ³⁵ محمد محمداود، الدلالة والحركة، (دراسة لأفعال الحركة في العربية المعاصرة في إطار المناهج الحديثة)، دار غريب، القاهرة، د. ط، 2002، ص 36، 37.
- ³⁶ عادل مشلح، العين من النظرة إلى الدمعة في الشعر العربي، (مقال)، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد كتاب العرب، دمشق سوريا العدد 394 شباط، 2044، ص 139.
- * وقد خصص الثعالبي في كتابه فقه اللغة فصلا فصل فيه كيفية النظر وهيئاته في اختلاف أحواله: إذا نظر الإنسان إلى الشيء بمجامع عينه، قيل رمقه فإن نظر إليه من جانب أذنه، قيل لحظه...، ينظر، الثعالبي، أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، (ت 430هـ)، فقه اللغة وأسرار العربية، ج1، ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا. بيروت، ط2، 1420 - 2000، ص 146.
- ³⁷ عمر عتيق ، لغة الجسد في القرآن الكريم، ص 8.
- ³⁸ حبيب موسي، مقامات الذاكرة المنسية، ص 8.
- ³⁹ المرجع نفسه، ص 8.
- ⁴⁰ حبيب موسي، مقامات الذاكرة المنسية، ص 8.

- * الهز: الهاء والزاي أصل واحد يدل على اضطراب في شيء وحركة وهززت القناة فاهتزت. ابن فارس (ت395هـ)، معجم مقاييس اللغة، ج6 ص422. ومنه في القرآن الكريم قوله تعالى: وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جينا سورة مريم، الآية 25.
41. محمد محمد داود، الدلالة والحركة، ص429.
42. المرجع نفسه، ص317.
43. حبيب موسي، مقامات الذاكرة المنسية، ص7.
- * ينظر، محمد محمد داود، الدلالة والحركة، ص175.
44. حبيب مونسي، المرجع السابق، ص8.
45. المرجع نفسه، ص9.
46. المرجع نفسه، ص10.
47. المرجع نفسه، ص8.
48. _ سورة آل عمران، الآية 134.
- * وهو ما تحدث عنه أرسطو ما يتمتع به الخطيب من أخلاق، والتي تحمل اسم أو مصطلح الايتوس (Ethos) وهي الأخلاق التي تتوفر في الخطيب تجعله أهل ثقة وإقبال عليه من طرف المتلقين؛ حيث حدد ثلاث عوامل على الخطيب أن يتحلى بها حتى يوثق به وهي: السداد والفضيلة والبر. ينظر محمد الوالي، مدخل إلى الحجاج أفلاطون، وأرسطو وشاتم بيرلمان، (مقال)، مجلة عالم الفكر عدد خاص بالحجاج، ص28. كما تكلم أرسطو عن الغضب في المقالة الثانية من كتابه الخطابة كيف تؤثر في نفوس الحكام)عنصر في مثيري الغضب، ودواعي الغضب. أرسطو، الخطابة، تح، عبد الرحمن بدوي دار القلم، بيروت لبنان، د.ط، 1979، ص80.
49. عمان علي حسن، منهج الجدل والمنظرة في تقرير مسال الاعتقاد، دار اشبيليا، المملكة العربية السعودية الرياض، ط1، 1420هـ-1999م، ج2 ص787.
- الغضب: هو محاولة إبطال دعوى الخصم قبل أن يقدم الدليل عليها. علي جريشة، أدب الحوار والمناظرة، دار الوفاء، المنصورة، ط1، 1410هـ-1989م، ص71.
- وأیضا الغضب يذهب بلب المناظر. ينظر، إبراهيم العثمان، أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، مكتبة ابن القيم الكويت، ط1، 1422هـ-2001م، ص543.
- وقال عبدالله ابن المعتز: شدة الغضب يغير المنطق وتقطع مادته الحجة وتفرق الهم. الخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت، (462هـ)، الفقيه والمتفقه، تح، أبو عبد الرحمن، وعادل بن يسف العزاوي، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1417هـ-1996م، مج2، ج7، ص70.
50. جمعان بن عبد الرحيم الغامدي، الحجج في الخطبة النبوية، (مقال)، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها العدد العاشر، 1434هـ-2013م، ص286.
- * تلعب العلامات السيميائية دورا فعالا في تحقيق الإقناع، وهذا من خلال هيئاتها التي تظهر بها كونها ذات أبعاد حجاجية. ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، (مقاربة لغوية تداولية)، ص456.
51. ينظر، هيثم سرحان، الخطاب الحجاجي في شعر بشار بن برد مقارنة في تحولات الهوية الثقافية، (مقال)، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها العدد الحادي عشر. محرم 1435هـ. نوفمبر 2013م، ص19. نقلا عن أحمد يوسف، الحجاج السيميائيات، مقارنة المراكز الاستيمية، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته) دراسة نظرية تطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة) مجموعة من المؤلفين، دار الروافد ناشرون، وهران. بيروت، ج2، ص44، 45.
- * استعمل السلطان في القرآن الكريم بمعنى الحجة، لأن مادة السلطان: الس، واللام، والطاء أصل واحد، وهو القوة والقهر، من ذلك السلاطة من التسلط وهو القهر. و السلطان: الحجة. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج3، ص95. وينظر ابن منظور، لسان العرب، مج3، ج23، ص2065. كما تحمل دلالات أخرى في الاستعمال القرآني وقف عنده الفيروز آبادي: الأول بمعنى آيات القرآن: قوله تعالى (مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) سورة يوسف، الآية40. والمعنى الثاني: الحجة والبرهان: قوله تعالى (هَٰلِكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ) سورة الحاقة، الآية29. و قوله (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِغْثَافَكُمْ أَنْ تَنْفَعُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفَعُوا لَا تَنْفَعُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ) سورة الرحمن، الآية33. أي بحجة، والثالث: بمعنى الاستيلاء: قوله تعالى (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) سورة النحل، الآية99. وقوله (وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَأْخُذُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) سورة سبأ، الآية21. والرابع بمعنى المعجزة: قوله تعالى (وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) سورة الذاريات، الآية38. الفيروزآبادي، بصائر ذي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح، محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت لبنان، ج3، ص247.
- وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه أنه كل سلطان في القرآن فهو حجة. البخاري، (ت256)، الجامع الصحيح (المسند من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم)، كتاب التفسير (باب وقضينا إلى بني إسرائيل)، تح، فؤاد عبد الباقي وآخرون، المكتبة السلفية، القاهرة، ط1، 1400هـ، ج3، رقم4708، ص249.

- وفي تفسير ابن باديس سميت الحجة سلطانا لما لها من السلطة على العقل في إخضاعه. ابن باديس، (ت1359هـ)، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، تح، توفيق محمد شاهين، ومحمد الصالح رمضان، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 1424هـ 2003م، ص268.
- ⁵². ابن القيم الجوزية، (ت751هـ)، مفتاح دار السعادة، ومنشور ولاية أهل العلم والارادة، تح، علي بن حسن علي بن عبد الحيد الحلبي الأثري، وبكر بن عبد الله أبو زيد، دار ابن عفان، ط1، 1416هـ 1996م، ج1، ص244.
- ⁵³. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص132.
- ⁵⁴. عبد الله صولة، الحجاج أطره و منطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكاه، ص335. وينظر، عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، مسكلياني، دار الجنوب، تونس، ط1، 2011، ص53.
- ⁵⁵. علي الشعبان، الحجاج و الحقيقة وآفاق التأويل، (بحث في الأشكال والاستراتيجيات)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2010، ص162.
- ⁵⁶. حبيب موسي، مقامات الذاكرة المنسية، ص9.
- * وهو ما يسمى بالتناص.
- ⁵⁷. المرجع نفسه، ص10.
- ⁵⁸. سورة هود، الآيات 118، 119.
- ⁵⁹. طه جابر الفيض العلوي، أدب الاختلاف في الإسلام، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، ط1، 1405هـ 2001م، ص10.
- ⁶⁰. سورة فاطر الآيات 27، 28.
- ⁶¹. حبيب مونسي، مقامات الذاكرة المنسية، ص11.
- ⁶². علي الشعبان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، ص463.